مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10/العدد: 2 (2022)، ص: 770- 781

القيم الاجتماعية في بناء الهوية الحديثة: مقاربة نوعية

Social values in the construction of modern identity: Qualitative Approach

رشيد بن راشد[1]، حسنية بلحاج[2]

[1] جامعة محمد بن أحمد (وهران2)، benrached.rachid@univ-oran2.dz

[2]جامعة محمد بن أحمد(وهران2)، belhadj.hasnia@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/25 تاريخ القبول: 2022/03/27 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

حاول "تشارلز تايلور" في كتابه "منابع الذات" للوصول إلى كيفية تكوّن الهوية الحديثة ومعرفة مصادرها وفق القيم الاجتماعية السائدة في عصر ما بعد الحداثة. وسرعان ما تحولت هذه الدراسة إلى مناقشة الواقع الذي كان نتاج جهود كثيفة لتحديد السبل في اختزال الأنانية السائدة في ذاك المجتمع.

نعتمد في هذه الورقة البحثية على المقاربة استناداً عل أسلوب التحليل. لنسلط الضوء على الدراسة التي قدمها "تايلور" في رصد منابع الذات وتكّون الهوية، وبعد التفسير والتحليل بشكل مستفيض. توصلنا إلى أن "تايلور" في الأخير أقرّ بمكونات الهوية في صورها التي تمثل أوجاع الحداثة وما يترتب عنها من خطورة، وأنها تحاول الإفلات من تسلط الأنانية وعدم الاستسلام لها، والتحرر من أصوار قفصها الحديدي داخل المجتمع.

كلمات مفتاحية: قيم اجتماعية، بناء، هوية حديثة

Abstract :

In his book "The Origins of Self," Charles Taylor tried to find out how modern identity and its sources are based on the social values of the postmodern era. The study quickly turned to a discussion of reality, which was the result of intensive efforts to identify ways to reduce the selfishness prevailing in that society.

This research paper draws on the analytical approach. and after extensive interpretation and analysis. We found out that Taylor had finally admitted that identity was trying to escape the selfishness of selfishness and freedom from her iron cage visuals within society.

Key words: Social values, construction, modern identity

المؤلف المرسل: رشيد بن راشد

1.مقدمة:

تعددت المساهمات الفكرية والتناظرية التي توالت منذ البدايات الأولى للقرن العشين، باهتمامها نحو ما آلت إليه الحضارة الغربية في العصر الحديث، بالتوازي مع مخلفات الحرب العالمية الأولى والثانية، والتي تلاشت فيها القيم الإنسانية والاجتماعية في صور لم يسبق لها مثيل. تمثلت في تشيء الإنسان الذي تظهر ملامحه معكوسة على علاقاته الاجتماعية وتخليه عن كل قيمة، والتي طالما دعا أصحاب التنوير إليها ووعودهم بمستقبل مجتمعات تسودها العدالة الاجتماعية في ظل العقول الحرة. فأصبحت المفارقة في التساؤلات حول الهمجية التي وصلت إليه المجتمعات عوض الالتزامات الكفيلة بكل الحريات الإنسانية داخل مجتمعها. كلّ هذه العوامل أدّت إلى إعادة النظر حول المشروع الغربي الحديث في توجهاته

العديدة، والرامية لتحقيق رؤى سوسيولوجية في إطار فلسفي تاريخي يبحث عن مقوّمات الهوية في وجود القيم الاجتماعية لدى الفرد والجماعة داخل المجتمع. وعليه فإن "تشارلز تايلور" كانت له رؤيته الخاصة فيما سوف نقدمه لاحقاً، تبدت في أعماله البحثية التي ترمي نحو معرفة العمق الإنساني الغربي في العصر الحديث، بوضع مقاربة سوسيوتاريخية للوصول إلى جذور الهوية المنبثقة عن القيم الإنسانية في عصر الحداثة.

ومن الواضح أن "تايلور" حاول فهم الهوية الحديثة من خلال الرجوع إلى المسائلة حول الأسباب الحقيقية والتي تعود إلى جذور الأزمة الحاصلة في الحضارة المعاصرة الغربية، وعدم الاكتفاء السطحي بإحصاء الظواهر في تمثلها داخل المجتمع، والعمل على تقصي خطوات مسارها أثناء التكوين، اعتقاداً منه (تايلور) بأن ذلك يفضي إلى الفهم العميق للذوات الفردية بشكل واضح، ويمنح الوصول أكثر إلى النقطة التي تتفكك فيها القيم الاجتماعية التي ترسم الهوية عند الإنسان الغربي الحديث. يقول تايلور: ("قد يظن البعض أن العمل يقدم نفسه كما لو كان شرحا تاريخيا، وفي هذه الحالة سيبدو حتما عملا ناقصا. وفي واقع الحال، فقد استعرضت بعض التطورات في الفلسفة والفكر الديني، مع إلقاء نظرة على بعض مظاهر الذهنية الشعبية. وبالكاد أشرت إلى التغيرات الكبيرة التي طالت البناءات السياسية والممارسات الاقتصادية والتنظيم العسكري والبيروقراطي التي ميزت هذا العصر. ولا شك انه لا يمكن تصور الهوية الحديثة من دونها") (تايلور، 2014، صفحة 317).

والإنسان المعاصر يتميز بسمات يدعوها "تايلور" الحدس الأخلاقي، وعلى وجه الخصوص يمكننا سردها في الميزات الآتية: أولاً أن الفرد كائن متجرد؛ بمعنى يستند في الأساس على عقله الذي يحكمه في تقييم نفسه والآخرين من خلال تمثله الموضوعي في مقابل ذاته المفكرة. والميزة الثانية أن قيمته الأساسية تكمن في الحرية، بتخلصه من كل قيد يكبل أفكاره، وجوهر الذات هو حريته التي إن ضاعت؛ فقد إنسانيته وكان متتبعاً لكل أشكال الوصايا الخارجة عن ذاته في المجتمع. وهناك ميزة ثالثة؛ هي الرجوع إلى ماضي المجتمعات التقليدية، في قيمة تدعى بالحياة العادية، اعتباراً بأنها الحياة المثلى التي لها الاستحقاق بالسعي خلفها، في مقابل إعطاء الأهمية التي يمنحها الإنسان للتأكيد على أولوية الرعاية الاجتماعية للفرد في مجتمعه (المحيفيظ، 2017، صفحة 177). فالهوية الحديثة تقوم على وعي الذات الذي تحدده دوافع العقل المتجرد، والخيال الواسع في تصور الحقوق والحريات الاجتماعية التي يمثلها التعبير عن الذات ومتطلبات التحقيق الذاتي للإنسان في مجتمعه. وإذا كان مفهوم الحدس الأخلاقي عند "تايلور" يتوافق معه العديد من المعاصرين، فإن الاختلاف يكمن في كيفية الوصول إلى هذا الحدس الأخلاقي، مثل القيم والمساواة والحرية الذاتية. ويصطلح لنا "تايلور" مفهوم الخيرات التكوينية، بمعنى المنابع التي تستقي منها القيم الاجتماعية في بناء الهوية لدى الإنسان، وقام "تايلور" بالترويج لفكرته (الخيرات التكوينية) بالتدقيق والتفصيل في كتابه "منابع الذات". والغاية هنا هو البحث في العلل والمحفزات التي تبتعد أكثر عن التوصيف للحدس الأخلاقي، انطلاقا من الموقف الحالي للأفكار والأنماط الفاهمة للذات المتداخلة فيما بينها، لمحاولة توضيح بعض الإشكالات السابقة التي انبثقت منها، وجلاء المظاهر المغفل عنها بالسّماح لإمكانيات جديدة(Taylor, 1989, p. 312) .

وببساطة فإن إشكاليتا هي معرفة الرؤية التي توصل إليها "تايلور" في انطولوجيا منابع الهوية الحديثة للإنسان الغربي المعاصر على وجه الخصوص، في حين أن رهان بحثه ليس بالأمر المتفق عليه كليا في إطار الفكر الغربي الحديث، لهذا كان لزاماً على "تايلور" الخوض في قسم كامل من كتابع منابع الذات، لتبرير هذا التنظير، وإيصال الفكرة التي سعا إليها، والرد على الذين كانوا يعترضونه ذوي التيارات الوضعية التاريخية، الداعية إلى أن الاختيارات الأخلاقية ليست سوى دوافع مرحلية متغيرة عكس ما قدمه "تايلور" في انطولوجيا الأخلاق، ودورنا البحثي في هذه الجزئية يملي علينا أن نشير إلى الفكرة

المستخلصة من انطولوجيا الأخلاق عند "تايلور"، بأن قيمنا الاجتماعية تحددها مثل أخلاقية عليا تبرر شرعيتها، ولا يتحدد برغباتنا الذاتية؛ بل تنطلق من مثل نسعى للوصول إليها داخل المجتمع. فإذا لزم ذلك توجب القيام بالبحث عن خلفيات اختياراتنا المرحلية والتفضيل الأخلاقي وفق المعايير النابعة منها. ومن هنا نطرح تساؤلنا التالي: **ما هي المنابع التأسيسية لهوية الإنسان في عصر الحداثة عند "تايلور"** ؟ وندعم هذه الإشكالية بطرح أسئلة فرعية أخرى كما يلي: في ماذا تتمثل هوية الإنسان في العصر الحديث؟ على أي أساس قام "تايلور" بتحديد منابع القيم الاجتماعية في بناء الهوية الحديثة؟ ما هي المعايير لمثال الأصالة عند "تايلور"؟ كيف يرى "تايلور" أوجاع الحداثة وانعكاسها على بناء الهوية الحديثة للإنسان المعاصر؟ وننطلق في تحليل واستقراء الرؤية التي قدمها "تايلور" عن طريق رصد كل الظواهر التي يعتقد أنها منابع لبناء الهوية في عصر الحداثة، لذلك نضع الفرضية التالية: **كانت التحولات التي طرأت على مجتمع الحداثة، العامل الأساسي في محاولة "تايلور" لتقديم رؤيته حول مظاهر تشكل الهوية.**

وإن غايتنا من تقديم هذه الورقة البحثية هي المساهمة في المزيد من الإثراء الفكري والتراكم المعرفي حول كيفية تشكل الهوية. فكان اختيارنا للرؤية التي قدمها "تايلور" في كتابه "مصادر الذات" بحيث كان يحاول الغوص في عمق الحداثة وإعادة استقراء ما توصل إليه المفكرين وعلماء الاجتماع خلال هذه الفترة بتقديم رؤى ونظريات مفسرة للهوية الذاتية للإنسان المعاصر لها، لكن الإشكالية أنهم أحدثوا قطيعة تاريخية لما قبل الحداثة. وتكمن أهمية المقاربة التي سوف نجعلها جسر عبور نمر عبره إلى معرفة الهوية ومنابعها التي ترتكز في الأساس على القيم الاجتماعية (الأخلاقية) لمثال الأصالة، وكيف قان بتحديد ثلاث مظاهر كمنابع للهوية محاولاً تفسير الذات في عصر الحداثة بالرجوع إلى جذورها التاريخية.

اعتمدنا في هذه الدراسة المقاربة التحليلية والتي تسعى إلى تفسير وإيضاح ما قدمه "تايلور" في ضوء الحداثة ومصادر الذات، بضبط وتحديد الرؤى المطروحة في هذا الصدد. كما نستهدف مناقشة أبرز النقاط التي التمسها صاحب التوجه في هذا الموضوع، والبناء التصوري الذي وضعه بخصوص بناء الهوية الحديثة. وفي سياق هذه المقاربة سوف نحاول تشخيص طبيعة القيم التي يحملها الإنسان المعاصر في وصف "تايلور"، وتحديد المنابع مع تحليل أوجاع الحداثة، والقيام بتقديم النقد قبل المعالجة والتوجيه الذي نستخلصه في ختام المقاربة.

وأما بالنسبة لتحديد المفاهيم والمصطلحات الواردة في الدراسة، تعتبر من أهم المراحل التي يجريها الباحث كعملية توافقية ما بين الخطوة التمهيدية و الانتقال إلى عمق المناقشة والتفسير، وتقديم المعاني الاصطلاحية والإجرائية التي تناسب الوضعية البحثية المراد التحقق منها، ويكون كذلك من أجل زيادة فرصة الفهم الصحيح وتقديمها للقارئ في سياق سهل يجعل مضمون المحتوى العلمي تحت تصرف هذا الأخير. وبناءا عليه قمنا بتحديد المفاهيم كالآتي:

- **قيم اجتماعية:**

القيم من الناحية الواقعية هي قوانين أخلاقية واجتماعية غير مدونة في دساتير؛ وإنما هي محفورة في ضمائر الأفراد والجماعة لأيّ مكان وزمان، لأنها محصلة لعاداتها وأعرافها وتقاليدها التي تنطوي على معايير مرغوبة لسلوكيات وعلاقات أفرادها داخل المجتمع. فالقيم ليست لها قوة الإلزام كالقوانين الرسمية، ولا يترتب عنها تبنيها أو تركها أيُّ عقوبات مادية أو جزائية، فهي دافعية مكتسبة بالتربية الأسرية أولاً، والتعليم النظامي ثانياً، والتنمية الاجتماعية ثالثاً. وهي ثابتة نسبياً، سواء كانت فردية أو جماعية، تخضع لمعايير الحكم على سلوكيات الأفراد والجماعات في تقييمات للأشياء أو المعاني. تتراوح ما بين الايجابية والسلبية، القبول والرفض، وكذلك ما بين الرضا والسخط (رشيد، 2022، صفحة 56).

وعند تحليلنا لهذه التعريفات نجد أن القيم مكتسبة عبر الأسرة، والتعليم، والتنشئة الاجتماعية، فالقيم ليست موروثاً على الإطلاق سواء كانت مرغوبة أو مرفوضة لدى المجتمع. وعندما تتشكل القيم وتتشبع داخل أيّ ضمير فإنها تصبح دافعاً ومحركاً لسلوكيات هذا الأخير. وتعرف القيم بالنسبية لأنها معرضة للتعديل بفعل الضغوط والمؤثرات، وفي بعض الحالات تكون قابلة للتغير في حدوث صدمة نفسية سلوكية للشخص على إثرها تتجه إلى الناحية المعاكسة لمعيار القيمة. وإن القيم الاجتماعية لأيّ فرد أو جماعة فغالباً ما تكون لها سطوة على ضمائر أصحابها وما تتضمنه من أفكار ومشاعر وسلوكيات في درجات متفاوتة تتراوح ما بين الانصياع لها من ناحية، وعدم الجهر بمخالفتها والتظاهر بالالتزام لها من ناحية أخرى. وذلك لمجرات المرغوبة الاجتماعية، ومن المتوقع فإن جميع أفراد المجتمع لا يمكنهم المحافظة على نفس الدرجة من الالتزام بمضامين قيم المجتمع (رشيد ب.، 2021، صفحة 39).

- **بنـــاء:**

يأتي مفهوم البناء في اللغة من مصدر بَنَى، وهو اصطلاح لمرادفات مثل تشييد، وتعمير، وياتي مصطلح البناء كذلك في عبارة تدل على الاستناد لبعض الحالات مثل: قول استناداً على، بدلاً من بناءا على. والبناء يعود إلى تراكمات الأشياء؛ بمعنى وضع بعضها فوق بعض، والبناءات تتطلب مهارات مكتسبة عن طريق الخبرة وتلقي المعلومات سواء عن طريق التلقين والتكوين والتعليم، والبناء في العادة ينطلق من مرحلة الصفر على أسس جديدة (المقرئ، 2008، صفحة 123). ومثلما سوف نرى في بناء الهوية، يكون منطلقاً بعد تعديلات أو التغييرات الكلية التي تطرأ على البناء الأساسي في محاولة التجديد تكون على أسس البناءات القبلية، تمر عبر مراحل زمنية معينة.

وبما أن الهوية غير ثابتة وقابلة لإعادة التشكيل؛ فهي قابلة أن تصاغ من جديد عبر التعديل والتغيير حسب متطلبات الظروف المجتمعية بمختلف مجالاتها التي تمر على الذوات الفردية والجمعية، وفي مراحل التكوين والانتقال من الهوية الأصلية إلى الهوية المتشكلة حديثا، تأتي بعدها الخطوة المهمة والمتمثلة في بناء الهوية. ومن الواضح أن هذا البناء يكون على قواعد وأسس تفضي إلى تشكل هوية الذات على غرار التي سبقتها (محمود، 2011، صفحة 198). والبناء من المنظور الاجتماعي يعني كل ما تأسس على نظام مترابط لأي ظاهر اجتماعية، ويحدث في تواجد عوامل كثيرة يقتضيها المجتمع تماشياً مع التطورات والتغييرات التي تطرأ على أنماط فاعليه من أفراد وجماعات، وفق ديناميكية تستدعي إعادة بناء وتنظيم ذاتها في سياق التفاعلية داخل المجتمع. ولا يمكن الحديث عن البناء إلا في وجود أطر تضمن الاتزان التنظيمي بمقتضى سلوكيات ذات الفاعلين داخل المجتمع (رسول، 2002، صفحة 57).

- **هوية حديثة:**

يرجع مفهوم الهوية في جذورها الفلسفية إلى الضمير "هو" بمعنى معرفة حقيقة الذات. وفي اللغة هناك من يفرق بين (الهَوية والهُوية)؛ فالأولى بفتح الهاء تعني البئر العميقة، أما الثانية بضم الهاء فهو معنى دخيل على اللغة أتى استخدامه مرادفاً للذات الإنسانية (غالي، 2003، صفحة 108). وتتعدد الرؤى والتوجهات في تعريف الهوية بتدخل عامل المكان والزمان واختلاف المنطلقات الفكرية. وعلى الرغم من بساطة هذا المفهوم (الهوية) إلا أن مضمونه يحتمل طابع التعقيد والغموض، وتبدى ذلك في مدى الجدل الذي تركه بين صفوف المفكرين والدارسين، فالبعض يرى إلى إمكانية وضع آليات لصياغة وتحديد الهوية، ليس فقط من حيث التعريف؛ وإنما من ناحية الوجود. يقول "أمين معلوف" ("لقد علمتني حياة الكتابة أن ارتاب من الكلمات، فأكثرها شفافية غالبا ما يكون أكثر خيانة، وإحدى هذه الكلمات المظللة هي كلمة هوية تحديداً، فنحن جميعا نعتقد بأننا ندرك دلالتها ونستمر في الوثوق بها وإن راحت تعني نقيضها بصورة خبيثة") (معلوف، 1999، صفحة 13).

فالحال أن محاولة تحديد الهوية هو مقاربات تحمل معها الكثير من المعاني والتفاسير. وغالبا ما ارتبط مفهوم الهوية بمصطلحات عديدة، مثل الخصوصية والثقافة والقومية. فالهوية هي مركب من لمعاني محسوسة ومعنوية تضع فارقاً يميز الأشياء عن الأخرى رغم وجود عناصر متشابهة، فالهوية هي من تحدد الوجود الإنساني وكينونته داخل المجتمع (طالب، 2000، صفحة 221).

عندما ارتبطت الهوية بعصر الحداثة أصبحت الايدولوجيا والقومية من الركائز التي تقوم عليها إضافة إلى اللغة والدين والفكر.واختلف الدارسون حول قيم الأصالة والحداثة وتأثيرها على الهوية في وجود التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وليدة عصر ما بعد الحداثة (اسماعيل، 2020، صفحة 81). ولقد سعى "تايلور" خلال دراسته لمنابع الذات وتكوّن الهوية، لوضع أطروحة فكرية تتبلور حول الهوية الغربية بصفة خاصة لعصر الحداثة وما بعد الحداثة. وهناك من دعا إلى ضرورة عزل الهوية (التقليدية) عن الماضي وربطها (الحديثة) فقط بعصر الحادثة في بعدها الديمقراطي التنويري (تمسك، 2014، صفحة 147). فالمعنى الحقيقي للهوية الحديثة هو التواجد الفعلي للفاعل الاجتماعي في عصر الحداثة كنمط جديد داخل المجتمع.

2.التحليل والمناقشة:

تفضي انطولوجيا الأبحاث التي قدمها "تايلور" من خلال تعقبه للمراحل التاريخية التي أسهمت في فهم الهوية الحديثة، على أنها خلاصة تتابع وتكامل المنابع الأخلاقية في بناء هوية الإنسان الحديث، من خلال السّمات المساعدة على إبراز الهوية المعاصرة وعلاقتها بتداعيات الحداثة، وعليه فإن الخيرات التكوينية عند "تايلور" مآلها إلى ثلاث منابع أساسية: أولها المصدر الإلهي، والثاني الطبيعي للعقل المجرد، والثالث المكوّن التعبيري. ومن الواضح فإن المنبع الخارجي (الإلهي) في عصر الحداثة بدأ التركيز عليه يتناقص لعدة أسباب منها حلول القيم القومية محل الدين، وبروز قيمة التأكيد على الحياة العادية من جهة القفزة التي أحدثها الإصلاح الديني بشكل قوي، وتعزيز قيمة الحياة الأسرية والعمل في المجتمع اعتباراً من أنها الحياة المثلى التي يسعى لها الإنسان المعاصر. أمّا بالنسبة للمنبع الثاني المتمثل في العقل المتجرد؛ فيعود بنا إلى توجه "ديكارت" الذي طالما أكد على عقلانية الإنسان وتميّزه عن سائر الكائنات بالتفكير والابتعاد عن تأثير العواطف والأحاسيس التي ربما قد تشوش على هذا العقل المفكر، والتأكيد على الحرية والاستقلالية الذاتية في المسؤولية عن كرامة الإنسان البشري كونه كائن عاقل، وكذلك في محاولة للسيطرة على قوانين الطبيعة لجعلها تحت تصرف الإنسان لتحقيق الرفاهية، وهو أيضاً التأكيد على قيمة الحياة العادية. وفي ما يخص المنبع الثالث الذي يتأسّس على قيمة الأصالة، بمعنى العاطفة التعبير كرؤية جديدة حول الطبيعة التي تمثل الحقيقة الداخلية في تأكيد الذاتية والتميّز الإبداعي في بناء الهوية الحديثة (تشارلز، 2014، الصفحات 157-178).

فالمنابع الأخلاقية التي ذكرنا سابقاً؛ هي أهم ما تكلّم عنه "تايلور" بخصوص مصادر الهوية الحديثة لدى الإنسان المعاصر، لكن ما يلاحظ على وجهة النظر التي قدمها في الانطولوجيا الأخلاقية، هو التقصير في الإغفال عن دور التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وربما يكون السبب في ذلك هو السّرد التاريخي كتصنيف بالكاد يكون قد أشار فيه إلى التغيرات التي طالت الأنساق السياسية والممارسات الاقتصادية التي ميزت هذا العصر، ومن غير الممكن إعطاء وصف دقيق للهوية الحديثة من دون هذه العوامل داخل المجتمع. بمعنى أن التركيز على المنابع الأخلاقية التي تشكل الهوية الحديثة؛ لا بد أن تفهم من غير التأكيد على وجود علاقة سببية مفترضة، يقول تايلور: "لقد أكدّت غير ما مرة على أن نظام السببية يصعب إثباته في هذا المجال. إذ لو كنّا بصدد البحث عن أسباب، لكان علينا حينها أن نذكر عدة أشياء أخرى، مثل الثورة

الصناعية، ونشوء القومية الحديثة. ما أقصده بالمقابل هو أنّ حياتنا الثقافية وتصوراتنا عن دواتنا ومنظوراتنا الأخلاقية ما تزال إلى الآن تنحصر في امتدادات هذه الأحداث الكبر..." (تشارلز، 2014، صفحة 429). بمعنى أن "تايلور" ليس التأريخ الشامل لمكونات الحداثة؛ بل هو القيام بازدواجية في الطرح الأنتروبولوجي الفلسفي، الذي ينم عن انطولوجيا البعد التاريخي، لغاية ينجر عنها الفهم الصحيح لدوافع اختيار القيم الإنسان في العصر الحديث، وليست مجرد غاية استقرائية فحسب، وإنما تطمح في الأساس لعدة غايات عملية تفضي إلى الفهم الدقيق لتغييرات الذات في الوضع الحالي.

ومن المنظور التايلوري، فإنه من الواجب التأكيد على أن تكون المنابع متعددة لإحقاق الغاية العملية، ولا يتم ذلك إلا إذا كان هناك إلمام بجميع المنابع في مجملها، خلاف رؤى ووجهات النظر لبعض الفلاسفة والمفكرين في اعتمادهم على مصدر واحد لصيرورة الحداثة مثل العقلانية وغيرها. لاعتقاد تايلور أنها لا تضيف سوى قراءات سطحية بمنظور فلسفي تاريخي، ووصفها بالرؤية الضيقة التي تختزل الإقرار بتعددية المنابع التكوينية، وأنه لا يمكن الوصول إلى فهم الذات الإنسانية إل من خلال معرفة تعدد مصادرها، فالهوية الحديثة مثلها مثل أي هوية لا تعرف المطابقة، بل هي مختلفة المنابع على مستوى قيمها الاجتماعية، وهذا ما يفسر لنا الفروق التي تميز المجتمعات الحديثة، رغم اتفاقها على الحدس الأخلاقي المشترك، وكمثال على ذلك، الكرامة كحدس أخلاقي يبحث عنها جميع البشر، وهذا الحدس ينبثق أساساً من فكرة متصلة بالاستقلالية الذاتية. وينطلق هنا "تايلور" في الإجماع التوافقي على هذا الحدس الأخلاقي، لكن تبريراته تختلف في التفسيرات المقدمة من طرف المفكرين والفلاسفة. إذن نحن هنا أما قيمة اجتماعية يجتمع حولها الكل في الإجمال، لكن كل جهة لها مبررات في تفسير نفس القيمة الاجتماعية التي تشكل الهوية الحديثة، وهنا نفتح المجال للطرح الذي قدمه تايلور في مفهوم الأصالة.

إن الحديث عن أصالة الهوية عند المفهوم التايلوري هو الأخلاق المثالية التي يسعى الإنسان الغربي المعاصر تحقيقها، وهذه من الإسهامات التي قدمها "تايلور" في العصر الحديث، متمثلة في أحد أهم إمكانات الحياة البشرية، وفق القيم التي توافق المعايير ومتطلبات الإنسان، يكون فيها محققا لذاته ولكيفية تواجده داخل المجتمع، ودون انصهار كيانه الخاص داخل الأعراف الاجتماعية الخارجية. وهذا لا يحتاج الكثير من الشرح والتفصيل لتبيان تواجد الحدس الأخلاقي عند الإنسان المعاصر بخصوص توجهاته لذات وللأخر والمجتمع الذي يعيشه، وعليه فإن "تايلور" يرى التحول الذي حدث في القرن الثامن عشرة الذي تمثل في أفول النبرة الأخلاقية، فالتقصي هنا يبين كيف اجتمعت في بنائه مكونات عديدة تعود بنا إلى عقلانية "ديكارت"، والنظرية السياسية عند "جون"، وكذلك إسهامات الرومانتيكية. والانزياح الذي تكلم عنه "تايلور" بمعنى أنه لم يعد الناس مثل السابق يردّون الحدس الأخلاقي إلى مصادر خارجية (الدين)، أو معرفة الخير والشر عن طريق النتائج المترتبة عنهما، وخصوصاً ما ينجر عنه من جزاء وعقاب في المجتمع؛ بل أصبحوا ينظرون للبشر بأنهم هم من يحزون الحدس الأخلاقي وامتلاك إحساسا غريزياً يفرق بين الخير والشر. فمن الواضح أن "تايلور" يدعوا الإنسان المعاصر بالإنصات للذات، وتحقيق السّمو الأخلاقي المنشود، وعدم الخضوع للمحددات الخارجية على الذات. بمعنى الارتفاع في درجات السّلم الأخلاقي الذي يعزوا إلى البحث عن أصالة الذات، ويكون العمق الوجداني هو الذي يصاغ عنه الهوية (تشارلز، 2014، الصفحات 203-224).

ونجد فكرة "روسو" في كتابه (أحلام يقظة جوال منفرد)، تحاكي مسألة الركون إلى الذات والاتصال الوجداني لها، وهو ما أسماه؛ الإحساس بالوجود، والذي يقتضي أن يصبح تحدي المشكلة الأخلاقية يتمركز في الحاجة إلى الانتباه والإنصات لصوت الذات داخل الإنسان، الذي طالما كان مختنقاً وتكتمه الانفعالات المصاحبة للارتباطات بالآخرين وخاصة

في مرحلة النضج (روسو، 2009، صفحة 37). وفي المقابل نجد " هردر" في التعبير الرومانطيقي بشكل واضح، ويتمثل هذا المنبع في تمحور فكرته التي تقوي من جهتها مثال الأصالة كما سبق وأن ذكرنا ذلك. ولبُّ هذه الفكرة التي أشار إليها "هردر"؛ هي أن لكل منا طريقته الخاصة في الوجود الإنساني، ومقياسه الذي يسير عليه، وهي فكرة جديدة طبعاً عند "تايلور" (كرام، 2016، صفحة 142). لأنه في السابق لم يتم الإفصاح عن الاختلافات الأخلاقية لدى الناس، وبعدها طال البحث في الكيفية عن تمثل الذات، وأصبح قائما على فكرة التفرد الإنساني والتي تبلورت إلى فكرة الصدق والنزاهة، بمعنى لكي يكون الإنسان صادقاً مع ذاته؛ يجب أن يكون وفياً لها.

إن قوة الأخلاق لمثال الأصالة، تتبدى في معايير عديدة من أشكال الحياة المعاصرة، مثل الحق في المطالبة بالاعتراف للحريات الفردية المتنوعة، والحصول على تقدير الذات ورفض الإتباع والتنميط، على غرار تحقيق الذات ومشاريع الازدهار الشخصي كما هي في المجتمعات الحالية. وعلى العكس؛ فالملاحظ أنه يوجد تفشي ظاهرة في الإفراط لنسب أخلاقية داخل المجتمع، ما يعكس التشوهات التي يعاني منها العصر الحديث، وازدياد مشروعية الأفعال مادامت صادرة عن ذات فردية، وأصبح الانغلاق والتقوقع من سماتها لأنها مصدر الحقيقة الأخلاقية النابعة منها بالأساس، وكذلك انتشار السطحية لمعاني الحياة والغائية لدور الفرد في مجتمع، إلى حد أصبح أقصى ما تطمح إليه الذات هو تحقيق الرغبات والأهواء الفردية. فالتحفيز إلى حاجات ومطالب أخلاقية عند الأفراد قد تبدوا سامية؛ فإنها أحدثت شروخ وتشوهات رذيلة في المجتمع، ولكي نفهم هذا المنعرج في تعدد المنابع الأخلاقية في بناء هوية الإنسان في العصر الحديث، لزم الحديث عن المقاربة وضعها "تيلور" فيما سمّاها بأوجاع الحداثة، ويمكن القول بأنه يوجد سببين في اعتقاده لحدوث هذه الشروخ في أخلاق الذات العصرية. الأول يتمثل في الإغفال عن الطابع المختلف والمتنوع لبناء الهوية ورصد قيمها من ناحية تعدد منابعها، والتركيز على مكون وحيد حسب الانتماءات الأيديولوجية، وإهمال مساهمة المصادر الأخرى من جهة الثراء المعرفي لها، فتصبح في الأخير هوية مبتذلة ومشوهة. وأمّا السبب الثاني، فهو الانحطاط والتردي الأخلاقي للحدس الفردي، لعدم الإلمام بكل ما تنطوي عليه مقتضيات الحياة الاجتماعية (ياسين، 2020، الصفحات 107-11).

وفيما سبق، لقد تم التأكيد على تعدد المنابع الأخلاقية لبناء الهوية في العصر الحديث وقد يفضي لحدوث تعارض يؤدي إلى توترات مجتمعية، واعتبار هذا أطروحة أساسية عند "تايلور" والوصول لغاية تجاوز الحد النظري في فهم الهوية الحديثة، لتبلغ الرؤية الثاقبة في التشخيص الحقيقي لمشاكل الحداثة ومغاليقها، وبعدها المقترحات التي قدمها كمخرج لها من الأزمة المحتملة. فمقاربة "تايلور" أعطت رؤية مخالفة لأزمة الهوية في عصر الحداثة، خلاف الرؤى والمقاربات التي قدمها البقية الذين أشرنا إلى بعضهم فيما سبق. وتميز "تايلور" يظهر في عدم نكرانه لمشاهد التردي التي تلوح في أفق الثقافة والمجتمع الحديث، مثلما تم تداولها عند أغلب المفكرين. ويرى "تايلور" أنه جل الأصوات التي انزعجت وتذمرت مما أضحى سمات لها سلطوية على سلوك الإنسان المعاصر، بسبب توسع انتشار النسبية الأخلاقية التي تكاد أن تجيز كل شيء، وانغلاق وتقوقع على ذاتية الفرد وبلوغ حياة مفتقرة لأدنى غاية لها ما عاد اللهث والسعي وراء الذات وتحقيق شغف رغباتها ونزواتها. فيرى "تايلور" بأنها أصوات من الجدير أن ننصت لها في حال أردنا فهم الهوية الحديثة وسلوكيات الذات المعاصرة عند تمثلها وتوترها. وهو يحاول أن يتفق على تشخيصها، ويحاول أيضاً على إيجاد تفسيرات لها مرتبطة ببناء الهوية الحديثة، بمعنى منابعها الأخلاقية في اختلافها وتنوعها.

ويرى "تايلور أن لأزمات الحداثة كما سماها بأوجاع الحداثة بأن لها ثلاث مظاهر وهي : هيمنة الفردية وفقد المعنى (الأفاق الاجتماعية)، هيمنة سيادة العقل على الغائية الإنسانية، والشعور بفقدان الحرية (الاستبداد الناعم). فالمظهر الأول

يُعنى توسع النزعة الذاتية المتفردة وتسلطها في صورة تتمثل في بروز النرجسية، والغوص الكلي في الملذات الصغرى في غلبة التوجهات الليبرالية المتطرفة على المستوى السياسي. والمظهر الثاني من أوجاع الحداثة يتمثل في مواصلة رفع الستار عن العالم الذي أفضى إلى تجريد الموجودات الكائنة كونها لها الأولوية في تحقيق الغائية الإنسانية، والذهاب إلى نقطة فيها تكون الغلبة للعقل الحسابي، بمعنى ميزان النتائج والفاعلية ومبدأ التكافؤ. وتوسع العولمة التي تهيمن فيها التقنية كل مناحي المجالات والأنشطة الإنسانية بما فيها الحميمة. وأما بالنسبة للمظهر يتمثل في الاستبداد الناعم الذي تتبدى صورته في التوسع الصناعي وهيمنة التقني الذي أدّى إلى ابتلاع جل سبل السيادة والحرية التي يرد أن يحققها الإنسان. وفي الفقرات الموالية سوف نقدم الرؤية التي قدمها "تايلور" بخصوص تمثل أوجاع الحداثة بمزيد من التفصيل (ياسين، 2020، صفحة 121).

من الواضح أن "تايلور" لا يجادل في صحة التشخيص الذي يقول بتفتح الفردية وما يربطه من انطواء حول الذات، بعدم المبالاة التي تكاد تكون عامة ومطلقة تتعدى قضايا هذه الذات، وكذلك لا يستبعد العواقب المترتبة عن ذلك بخلاف منتقدي الحداثة الأخلاقية، وهو لا ينظر من زاوية ترى أن السبب يكمن في مشروعية الأصالة ذاتها، وعلى العكس، بل في الاختزال والرداءة اللذان تعديا الأصالة. فالجدير بالذكر أنه تم بتر بعض سمات الأصالة كما ذكرنا في بداية طرحنا، وتم اقتطاع لمكونات دون غيرها. ونذكر البعد الذي قدمه "روسو" حول البعد الفردي لمثال الأصالة، والابتعاد عن الطرح الذي قدمه "هردر" والذي سمي بالأب الثاني لمثال الأصالة، الذي يعتبر أن الأصالة ليست هي التفرد فقط، وإنما الشعوب والحضارات، بمعنى أهمية الانتماء العميق للجماعة وثقافتها كي تتحقق الأصالة الفردية ذاتها. وكنتيجة يتضح أن التركيز على صيغة الأصالة الأولى التي قدمها "روسو، في مقابل الصيغة الثانية التي قدمها "هردر" يدعوا إلى ظهور النرجسية الفردية (كرام، 2016، صفحة 143).

ولقد تراكم الدور الذي شمله مكوّن العقل المتجرد في طابعه المتقلب والذهاب في مسلك الفلسفة الحديثة سبيلاً لها، الذي يمثل في إعطاء الصورة الخاطئة عن تكون الهوية عند الأفراد اعتباراً أن هذه الأخيرة تتشكل ذاتياً. وبطبيعة الحال وكما يقول "تايلور" ("علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ملمحاً أساسياً من ملامح الحياة البشرية وهي أنها أساساً حوارية") (تشارلز، 2014، صفحة 379). بمعنى أن الهوية تتكون في الأساس عبر الفاعلية مع الآخرون، وكذا المثال الذي يشدنا إلى ناحية الفرد المتوحد، والذي يلفت انتباه الإنسان المعاصر في صورة الزاهد أو الفنان المنعزل، فيعني أن اكتشاف الهوية لا يصوغ إلى العزلة، بل يتم استخلاصها خلال الحوار الذي يكون مع الآخرين. ولهذه العلة يفضي تطور الهوية وتولدها أهمية جديدة للتعرف عليها، فان اكتشاف الهوية يتوقف على حيوية الحوار مع الآخرين. وإن اختزال الأصالة بواسطة اللامبالاة بهذه الجوانب مآله التردي والانحطاط كمثال الذات المتفردة والنرجسية المفرطة، والواضح أن التدقيق بتفحص لما يؤول إليه مثال الأصلة وما ينطوي ضمنه لمتطلبات يكشف لنا الرداءة بشكل جلي. وبالإمكان التدقيق حتى يظهر لنا سبل تفتح الذات وما تريد تحقيقه في استقلال العلاقة بالآخرين وبمعزل عن صدور المتطلبات كحقائق أسمى، بمعنى اختلافات بسيطة مجردة لطموحات ورغبات بشرية، وأن هذه الأنماط تمتاز بالعمق فهي مدمرة لشروط الأصالة ذاتها.

يحذر "تايلور" من الخلط ما بين حرية تحقيق الهوية الشخصية الأصيلة، واختصار التركيز فقط على مشروعية الاختيار الفردي، ويرى وجود نقيض بين الفكرتين، الأولى عن الأصالة، والفكرة الثانية تعكس الحرية الذاتية. ولقد تحدث كذلك "روسو" عن هذه الجزئية (روسو، 2009، صفحة 93). وعليه من تمام الوضوح أنه لا يمكن أن تتحدد الهوية إل عن طريق ما تحتمل من دلالة قوية. وانطلاقاً من هذه النقطة واجب أن لا تحدد الهوية إلا من خلال دلالة الاختلاف التي تميزها

عن الآخرين، على غرار الأشياء في حد ذاتها والتي لا تكتسب قيمتها القوية لمجرد أحاسيس فردية، وعلى العكس تكون مكتسبة عبر درجها داخل حيز يسمح بتعقّلها، والخلفية هذه يطلق عليها "تايلور" الأفق. ونحن ليس بإمكاننا المدافعة عن الأصالة ونغفل عن آفاق المعنى، وهي التي تتعدى الأطر الفردية كونها مرتبطة بالثقافة والانتماء. والتركيز على مشروعية الاختيار الفردي فقط، ودون التأكد من أن هذا الاختيار يلزم أن ينطلق من أطر قوية (آفاق المعنى)، ويمكن لهذه الاختيارات بذاتها أن تصبح رديئة ومبتذلة تفقد في طياتها أيّة معنى. فالتصور الصحيح للذات يفرض ذلك بعض الحقائق التي تغطي أهمية تعدي الفردية، ووجود خيارات كدوافع تكتسي طابع الحقيقة واكتمال الدلالة بالنسبة إلينا، وبالتالي ضمان الدلالة التي تكوّن الحياة المكتملة التي نحتاجها. فالفردية الذاتية في مطلقها تفزعُ نحو الفراغ، بمعنى أنه لا يمكن تحقيق القيمة مكتملة في فضاء لا يوجد فيه شيء ذو قيمة إلاّ الانفتاح الذاتي.

لذلك كان يرى "تايلور" أن ما قدمه "ستيوارت ميل" في كتابه (في الحرية) بأنه من الأهمية بما كان اختيار حياة الفرد ودون أن تكون اختيارات لها دلالة أكثر من أخرى، فإن طرح الاختيار الذاتي نفسه يصبح تافهاً غير متماسك، بمعنى حينما يتم قطع الأصالة بما يقتضيه الانتماء الاجتماعي واختزالها لمرجع اختيار ذاتي عشوائي، يصبح مثال الأصالة متردياً له طابع الانزواء الشخصي متمثلاً في صورة الفردية النرجسية (الهاجري، 2016، صفحة 123). ومن الجلي أن الفاعل الذي يريد الوصول إلى معنى الحياة يحاول تحديد ذاته بسبيل له معنى، وهذا بالتحديد يحدث خلل في مكونات الثقافة الحديثة التي تنطوي نحو انفتاح الذات و الوجود الإنساني، فتكون خارجة عن سياق التاريخ في مسلك يكون عكس مقتضيات المجتمع. ومما لا شك فيه أن وراء هذا التردي لمثال الأصالة، والتهاوي المتزايد نحو الانغلاق، والابتعاد عن الآخرين باعتبارهم عوائق تصد تحقيق الذات، وكان نتيجة لعدة أسباب منها؛ تحولات المجتمع الصناعي للعقل الذاتي، وكذلك ظهور الليبراليات المحايدة التي أساسها يقوم على دور الدولة الديمقراطية خصوصاً في محاولة تحديد الخير، وهذا الأخير يحدده الأشخاص باختيارهم الذاتي، واختزال دور الدولة فقط في ضمان الشروط التي تسعى لتحقيق الذات وفق ما تراه خيراً دون انحياز وتحقيق مساواة في مطلقها. وبالنسبة لبراديغم الأصالة عند "تايلور" كاختيار فردي يتحدى التصدعات التي قمنا بطرحها، ومن الواضح أن هذا البراديغم السياسي الآن في عصر التنوع الثقافي أصبح في مأزق شديد بسبب تجاهله لآفاق المعنى (بوجمعة، 2017، صفحة 17). ومن الضروري إذا كان رفض الفردية الذاتية والتصدي لها كخطر يقتضي أن يكتمل مثال الأصالة على اختلاف منابعه والإقرار بكل المتطلبات الضمنية ودفع الانحرافات الليبرالية المحايدة يتطلب أخذ مسلك آخر من ضروب الليبرالية، تكون لها مساعي تقر بسياسة الاعتراف بمشروعية الثقافة واختلاف آفاق المعنى داخل المجتمع.

وبخصوص المظهر الثاني (هيمنة العقل) يقول "تايلور" : ("أقصد بالعقل الأداة ذلك الضرب من العقلانية الذي نستعمله حين نريد تقييم أبسط الوسائل للوصول إلى غاية معينة، ويقاس نجاحها بالفاعلية القصوى والإنتاجية الأكبر") (تشارلز، 2014، صفحة 521). وهذه الفكرة قد تولدت من العقلانية التي منبعها العقل المتجرد فيما تم ذكره سالفاً، وانبثقت كذلك عن الفهم المخصوص للحرية الحديثة زيادة على تداخلها مع تأكيد الحياة العادية. وما ساعد على هيمنة العقل هو تلاشي التصورات التي كانت تنظر للأشياء بمعاني عالية، وبالعكس أصبح الإنسان الحديث يحيا في مجتمع منزوع السحر، في عالم يخلوا من كل مقدس، وتكون الرؤية نحو كل الأمور انطلاقا من السعي وراء إحقاق الرفاهية والسعادة. ومن الواضح أن تسلط العقلانية زاد من توسع الحرية، ولكن في المقابل أفضى عنه انزلاق في الميادين الحياتية الأخرى، فالعقل الذاتي لم يعد محصوراً فقط في مجالات معينة، وإنما توسع ليشتمل جميع مناحي الأنشطة البشرية وافتقد الإنسان الحديث كثيراً عمق معاني الحياة في وجود الرؤية التي تجرد الكائنات من حيويتها وتوازيها بالأشياء والمادة، فتلاشت معه

الفضائل والبحث فقط عن الراحة التافهة. لدى أصبح الناس اليوم يناشدون بفقدان الحيوية التي تزيد من عمق الروابط الاجتماعية.

لم ينكر "تايلور" كل تلك الأعراض المطلقة في مجملها ولم يوافق عليها كلية، بل كانت له رؤية بأن العقل الذاتي يحمل في طياته أسُساً أخلاقية وغير نابع من فرط في السيطرة، وهذه الأسس تعزوا في البداية إلى مبدأ السيطرة ومسؤولية الفكر على الذات الحرة. إن إغفال المنابع الأخلاقية يؤدي إلى تردي العقل الذاتي وتشوه ملامح الهوية، واللازم هنا استحضار الفاعلية في تواجد الحوار بكيفية بشرية، بمعنى أنه يجب إيجاد معنى للحياة يكون مستقبلها متواصلاً مع ماضيها، والاستفادة من التقنية في خدمة الفرد والجماعة. ومن الاستطاعة بما كان تعزيز الأصالة باستقلالية الذاتية، وتجنب الانزلاق الذي يفضي إلى النرجسية الفردية، وكذلك تسوية العقل الذاتي بعيداً عن التحكم والسيطرة، وربطه بمنبع العناية بالحياة العادية، ولهذا يؤكد "تايلور" على إيجاد سبيل جديد للتقنية، وإخضاعها في سياق أخلاقي بدل سيطرتها المستمرة (تشارلز، 2014، صفحة 612).

وبالنسبة للتمثل الذي وصفه "تايلور" بالاستبداد الناعم واعتبره من مظاهر أوجاع الحداثة (ياسين، 2020، صفحة 103)، فيمكننا القول أن الإنسان المعاصر يحاول دائماً إيجاد مكاناً لذاته في وجود بيروقراطية المؤسسة التي تفرض عليه روتيناً في حياته الاجتماعية كتيار جارف يحدد مساراته واختياراته التي لا سلطة عليها. إن طغيان النرجسية الفردية بحجة النجاح والتنافسية أمر لا يمد للأخلاق بصلة، وهذا ما آلت إليه المجتمعات المعاصرة من جهة، وأنها أصبحت تتجه بسبب شروط المجتمع الحديث وما سببته الإرادة الديمقراطية وانقياد الناس بسهولة بفعل وصاية سلطة قوية، وهذا راجع للانغلاق في حيز المصالح الذاتية والملذات الفردية، وتفويض أمرهم للحكومات تدابير أمورهم المشتركة، فالمجتمع النفعي تتلاشى فيه إرادة الذات التي تعتمد على الحرية. ولا مجال للموازنة ببين الديمقراطية الحديثة و استبدادها الناعم، في مقابل الأنظمة الاستبدادية. والخطر الحقيقي الذي تواجهه هذه المجتمعات؛ هو التشتت، بمعنى الفشل الذي يتمثل في عجز الناس على تكوين مشاريع مشتركة وتنفيذها، ويترتب عن حالة التشتت هذه زيادة في تعنت الناس كفهم البحث عن الروابط التي تجمعهم.

وبطبيعة الحال فإن التشتت هذا يفضي إلى قيمة وحيدة يتقاسمها الكل وهي المبادرة في الدفاع عن الحريات الذاتية في فضاء تكاد تختفي فيه كل القيم، فتتهاوى الحوارات وتتراجع المشاركة السياسية وتنقص واجبات المواطنة. ومن الواضح فإن هذا كله يتم وفق تماثله مع النظام الذي تقدمه الليبراليات المحايدة، يكون فيه المواطنين مجرد أفراد، ولا يقتصر هذا النظام إلا على كل دور سلطوي خالٍ من كل قيمة (سعيد، 2016، صفحة 43). ويرى "تايلور" أن المحاصرة التي تفرض على الإنسان المعاصر وتطويقه مثل قفص حديدي، هي حقيقة نسبية وليست حتماً، وبالإمكان رفع هذا الطوق. فالمجتمع المعاصر بالفعل يجعل من الأفراد يتجهون نحو الذاتية الآلية ومقاومتها أمراً صعبا واعتبارها كمعايير، ولكن في المقابل يعتقد "تايلور" بأن المجتمع التقني حتمي لا يمكن دفعه، ويزيد من الأمور تعقيداً في غفلة عن الأساسي منها. فتوسع أفق العقل الذاتي مثلما ذكرنا سالفاً وربطه بالعناية التوافقية، يعطي الفرصة لفتح آفاق جديدة في المجتمع المعاصر، والابتعاد عن أشكال الليبرالية الإجرائية نحو وجه آخر يقر بالانتماءات الثقافية للناس، ويلغي أشكال الحكم السلطوي لصالح شكل من جهته يحفظ الفاعلية الحقيقية للأفراد داخل المجتمع.

في جميع مناحي أوجه التردّي التي تصف حالة ثقافة الإنسان المعاصر أفراداً وجماعة، يحرص "تايلور" على تنقية وفرز مواقفه لأغلب الآراء التي صدعت في هذا الجانب على اختلافاتها، سواء المنبهرة التي كانت تتفاءل بعصر الحداثة

وتشجعه دون قيد أو شروط، على أساس أنه مثالي ولا يشوبه إل بعض النقائص الهامشية، وفي المقابل بروز أراء لها نظرة تشاؤمية اتجاه الحداثة بما شملت، وأنها دمار على الحضارة الإنسانية. فرؤية "تايلور" تنعكس في عدم رضاه حول النظريات المفسرة لهذا الموضع، فالمتفائل منها يعتقد أن الإنسان المعاصر قد حقق الدرجات السامية في الارتقاء، وعلى عكسهم هناك من يرى بانحطاط وضياع الحضارة الإنسانية، فكلاهما أغفل الجوانب المهمة التي تطرق إليها "تايلور". إن أوجاع الحداثة وانزلاق الأمور ليس بالإمكان إخفاؤه بالنسبة للذين كان لهم آراء جدية حول هذا الموضوع، والاكتفاء بالنظر لما يقدمه العالم المعاصر من ثقافة. وعلى هذا الأساس لا يسمح "تايلور" جعل ذلك ذريعة لمهاجمة ثقافة الحداثة على إطلاقها. فموقف "تايلور" ينبني على انطولوجيا القيم الاجتماعية للهوية الحديثة، والتي تدعوا إلى تنوع المصادر (المنابع) المكونة لها مع الأخذ بالاعتبار جميع لوازمها الاجتماعية.

3. خاتمة:

والحال أن جل الرؤى التي تتصارع بخصوص تقييم عصر الحداثة، قامت بالتركيز على وجهات نظر مبنية على الاعتماد في تأويلها على منبع واحد للقيم وتغافلت عن بقية المصادر (المكونات) الأخرى في تفسير الهوية الحديثة. وبطبيعة الحال فإن هذا التأويل يظهر في حالة وكأنه يرفض في تفسير بقية جوانب الحداثة، فالداعون إلى العقلانية في حدودها الضيقة لتجرد العقل وهيمنته السلطوية في مقابل إخفاء الجانب اللاعقلاني بدرجة غير واعية لا تعرف التعبير الذاتي لتحقيق حياتهم العاطفية والثقافية. ويمكن القول أيضاً أن من يدعون إلى مميزات العقل المتجرد في العصر التقني، يضعون المجتمع في كفة ضعيفة مما هو عليه، بزعمهم أن من ينكرون عليهم لهم ينطلقون بدافع السيطرة على الطبيعة، واختزال دوافع البقية الآخرين، وفي الحقيقة هم يختبئون وراء الشكل الذي نسج من تجرد الذات وحريتها وحقوقها الفردية، القائمة بين العقل الذاتي وإحقاق الحياة العادية، إعلانا منهم الإنكار الجذري لتمثل المظاهر الخاصة للهوية الحديثة، بفاعلية مستمرة في سياق ما تنكره الذات حسب ما تقتضيه الصبغة هذه أو الأخرى. وما دعا إليه "تايلور" على وجه الخصوص هو الاعتراف بأوجاع الحداثة على اختلاف منابعها، وحاول ربط الأسباب عبر رؤية متكاملة للهوية الحديثة في وضع لا يحتمل الاختزال لبعض مكوناتها، وقام بتفسير دواعي التردّي التي كادت أن تشوه بعض القيم الاجتماعية وتلغي الملامح الايجابية لها.

وفي الأخير فإن هذه الرؤية تنظر إلى منابع القيم الاجتماعية ومكونات الهوية في صورها التي تمثل أوجاع الحداثة وما يترتب عنها من خطورة، تحاول الإفلات من تسلطها وعدم الاستسلام لها، والتحرر من أصوار قفصها الحديدي، في صالح الإرادة التي تأول إلى قيم المثل الأخلاقية لمجتمع الحداثة، والتي تعمل جاهدة لتصحيح مسارها. تنطلق من إرادة تتصالح مع التقنية وكل مشاركة سياسية بعيدا عن البيروقراطية والذاتية، وتجاوز حالة التشتت والإحساس بالفشل، ومواجهة معضلة الديمقراطية الوصية، وجعلها حيوية فاعلية لحياة الفرد والجماعة داخل المجتمع.

قائمة المراجع:

Taylor, C. (1989). *Sourses of the Self: The Making of the Modern Identity*. U.S.A: Harvard University Press.

اسماعيل ,ع .ا .(2020) .*الهوية في علمنا المعاصر بين الوطنية والقومية* .القاهرة :المكتب العربي للمعارف.

المحيفيظ ,م .(2017) .هوية الانسان الحديث والمعاصر عند تشارلز تايلور .*التفاهم* ,177 ,(58-57)*15* ,

المقرئ ,م .(2008) .*المعجم* .لبنان :دار الكتب العلمية.

الهاجري ,ع .ا .(2016) .*الحرية عند جورج ستيوارت ميل* .الكويت :ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع.

بوجمعة ,ش .(2017) .الكتابة ضد الحداثة من منظور ما بعد الحداثة .*تمثلات* ,38-11 ,(01)*02* ,

تايلور ,ت .(2014) .*منابع الذات؛ تكون الهوية الحديثة .ترجمة حيدر حاج سماعيل* .بيروت :المنظمة العربية للترجمة.

تشارلز ,ت .(2014) .*منابع الذات :تكون الهوية الحديثة، ترجمة حيدر حاج اسماعيل* .بيروت :المنظمة العربية للترجمة.

تمسك ,م .ب .(2014) .*أصول الهوية الحديثة وعللها :مقاربة شارلز تايلور نموذجا* .بيروت :جداول للطباعة والنشر والتوزيع.

رسول ,ر .م .(2002) .*محنة الهوية :مسارات البناء وتحولات الرؤية* .لبنان :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

رشيد ,ب .ح .(2022) .القيم الاجتماعية لجيل الهتف الذكي :تحليل كيفي لاستخدام الشباب للهاتف الذكي .*المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات* ,56 ,(01)*05* ,

رشيد ,ب .ح .(31 12 ,2021) .تاريخ فلسفة التكنولوجيا :القيم الاجتماعية والقيم التكنولوجيا .*مجلة الحكمة للدراسات التاريخية* ,39 ,

روسو ,ج .ج .(2009) .*أحلام يقظة جوال منفرد، ترجمة ثريا توفيق* .القاهرة :المركز القومي للترجمة.

سعيد ,م .ب .(2016) .الحداثة وسؤال الأخلاق في المدونة الفكرية لطه عبد الرحمن .*الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية* ,47-38 ,(01)*08* ,

طالب ,م .س .(2000) .*الدولة الحديثة والبحث عن الهوية* .عمان :دار الشروق للنشر والتوزيع.

غالي ,و .ر .(2003) .*السراج الوجيز :معجم للمتدرادفات والعبارات الاصطلاحية والأضداد العربية* .بيروت :مكتبة لبنان ناشرون.

كرام ,ي .(2016) .نقد العقلانية التنويرية عند هردر .*مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية* ,142 ,(01)*02* ,

محمود ,ا .ب .(2011) .*بناء الهوية وترسيخ الانتماء :رؤية استراتيجية لتحقيق التنمية وحماية الجهاز الاداري من الفساد* .الاسكندرية :الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع.

معلوف ,أ .(1999) .*الهويات القاتلة :قراءات في الانتماء والعولمة* .دمشق :ورد للطباعة والنشر والتوزيع.

ياسين ,ن .ط .(2020) .تشكل الهوية الأخلاقية لغوياً عند تشارلز تايلور .*أفاق فكرية* ,129-95 ,(03)*08* ,